المكاتبات الرسمية للعهد الراشدي (٢٠ - ٢٣هـ/٦٤١ - ٦٤٤م)

في كتاب: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي» (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

The official correspondences of the Rashidi Era (20-23 AH /641-644 AD) in the book "Good attendance in the history of Egypt and Cairo" by Al-Suyuti (911 AH/1505 AD)

د.نعيمة حسن فليح

Dr.Naima Hassan Flaih

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة المكاتبات التي وردت في كتاب من كتب التراث العربي الإسلامي، وهو كتاب (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة)، لمؤلفه السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) وتتضمن مكاتبات العهد الراشدي للفترة (٢٠-٢٣هـ/٦٤٠-٦٤٣م)، في الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي، وهي فترة مهمة تتمثل في الفتح الإسلامي لمصر، وهو سِلسلةٌ من الحملات والمعارك العسكريَّة التي خاضها المُسلمون تحت راية دولة الخِلافة الراشدة ضدِّ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، وانتُزعت على إثرها ولاية مصر الروميَّة من يد الروم ودخلت في دولة الإسلام.

Abstract:

The research addresses the correspondences contained in a book of Arab-Islamic Heritage, a book (Good attendance in the history of Egypt and Cairo), by the author " Al-Suyuti " (911 AH/1505 AD).The correspondences of the Rashidi Era for the period (20-23 AH/640-643 AD), on the political, military and economic side, which is considered as an important period of Islamic conquest of Egypt, include a series of military campaigns and battles waged by Muslims under the banner of the AKhilafah Rashida's State against the Byzantine Empire; as a result, the Roman province of Egypt was wrested from the hands of the Romans and entered the Islamic State.

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ يتناول البحث دراسة المكاتبات التي وردت في كتاب من كتب التراث العربي الإسلامي، وهو كتاب (**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**)، والذي أصبح من الدراسات الشائعة كثيراً في الوقت الحاضر، ومما لا شك فيه، فإنّ البحث في بطون أحد الكتب المرشحة واجتزاء المعلومات والروايات منه، ومن ثم عقد موازنة بين معلوماته والمعلومات الأخرى المتوافرة في الكتب الأخرى، قد مثل نقلة نوعية في الدراسات التأريخية الأكاديمية الجديدة، ويدلل على فائدتها العظيمة وعلى حاجة المكتبة العلمية الأكاديمية للمزيد منها.

وعن أهمية هذا البحث فإنها تأتي من أهمية كتاب (**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**)، بين كتب التراث العربي الإسلامي، فالكتاب يتناول تاريخ دولة كانت وما زالت حمية الملة والدين، وراعية الإسلام والمسلمين، وقاهرة الغزاة والمعتدين، فكان من حق هذا الإقليم أن يشغل مكانه في التاريخ، وأن يخص بعناية العلماء والمؤرخين، وأن تفرد لوصف ملامحه المؤلفات، وأن يتدارس تاريخه في كل مكان وزمان، فقد نبغ من العلماء القدامى والمحدثين من وضعوا في تاريخ مصر المصنفات تختلف طولاً وقصراً، وتتباين طريقةً ومنهاجا.وكتاب حسن المحاضرة، الذي صنفه السيوطي من أنفس الكتب التي صدرت عن هؤلاء الأعلام.

تناول البحث دراسة مكاتبات العهد الراشدي عهد الخليفة عمر بن الخطاب(٢٠-٢٣هـ/٦٤٠-٦٤٣م)، في الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي، وهي فترة مهمة تتمثل في الفتح الإسلامي لمصر إذ انتُزعت على إثرها ولاية مصر الروميّة من يد الروم ودخلت في دولة الإسلام.

قسم البحث الى ثلاثة مباحث الأول: تضمن إعطاء نبذة عن سيرة السيوطي ومكانته العلمية، وتضمن المبحث الثاني: التعريف بكتاب «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، وبيان مفهوم المكاتبات الرسمية، أما المبحث الثالث فقد تضمن المكاتبات السياسية والعسكرية والاقتصادية في العهد الراشدي.

*　　*　　*

المبحث الأول

سيرة السيوطي ومكانتهُ العلمية

• **أولا: اسمه ولقبه وكنيته**

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خليل ابن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين الخضيري السيوطي أو الأسيوطي[١].كما ترجم هو لنفسه، وقال معقبا على سرد نسبه هذا: «هكذا وجدت هذا النسب في صداق لابن عم والدي»[٢].أما لقبه السيوطي، فيرجع الى مدينة أسيوط، وهي مدينة جليلة كبيرة تقع في غربي النيل من نواحي صعيد مصر[٣].ولهذا قال كان يعرف بابن الاسيوطي[٤].ويلقبه بعض المؤرخين بالطولوني نسبه الى جامع ابن طولون الذي تصدى فيه للإفتاء وإملاء الحديث[٥].وينتسب السيوطي الى الخضيري، وهذه النسبة جاءت من الخضيرية بلفظ تصغير خضرة، والخضرية محلة كانت ببغداد في الجانب الشرقي وتنسب الى خضير مولى صالح صاحب الموصل، وكانت على مقربة من مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[٦].

أما كنيته فلم يذكرها السيوطي في أي كتاب له، رغم ثراء كتابيه «التحدث بنعمة الله» و «حسن المحاضرة» بترجمة وافية ومفصلة عنه، إلا أن تلميذه الشاذلي المتوفى سنة(٩٣٥هـ/١٥٢٩م) ذكر في كتابه

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، د.ت،ج٤، ص٦٥؛ السيوطي: حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،مصر، ١٩٦٧،ج١، ص٣٣٥؛ التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت، ص٥؛ العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م):النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥، ص٥١؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦، ج١٠، ص٧٤.

(٢) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٥.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص١٩٣.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٦٥.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٦٥؛ السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٧١؛ العيدروس: النور السافر، ص٥١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٥.

(٦) أحمد سوسة: دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٨، ص١١٤-١١٥.

«بهجة العابدين» لقب وكنية السيوطي على لسانه، ونسبها له من ضمن سماعاته على كتاب التحدث بنعمة الله- حتى أن محقق كتاب التحدث بنعمة الله قد أرفقها بذيل الكتاب من ضمن الملاحق والسماعات.ونص ما نقله الشاذلي في بهجة العابدين من كتاب التحدث بنعمة الله قال فيه على لسان السيوطي: «ولقبني والدي جلال الدين، وأما الكنية فلا أدري هل كناني والدي أم لا، ولكن لما عرضت على صديق والدي وحبيبه شيخنا قاضي القضاة عز الدين أحمد إبراهيم الكناني الحنبلي[١] كناني أبا الفضل، فإنه سألني: ماكنيتك ؟ فقلت: لا كنية لي، فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه»[٢].

- **ثانياً: ولادته**

ولد السيوطي في مدينة القاهرة سنة (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) [٣].وقد حدد السيوطي بوضوح ودقة ذلك فقال: «وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة»[٤].

- **ثالثاً: نشأته العلمية**

كان السيوطي سليل أسرة اشتهرت بالعلم والتدين، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة العلمية الرفيعة التي جعلت بعض أبناء العلماء والوجهاء يتلقون العلم على يديه، قال عنه السيوطي: «والدي هو الإمام العلامة ذو الفنون الفقيه الفرضي الحاسب الأصولي الجدلي النحوي التعريفي البياني البديعي المنشئ المترسل البارع كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين محمد...»[٥]، ووصف بأنه «كان على جانب عظيم من الدين والتحري في الأحكام وعزة النفس والصيانة، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس، صبورا على كثرة أذاهم له، مواظبا على قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة»[٦].

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد، اشتغل بالعلم وبرع، وحصّل أنواعا من العلوم، ثم باشر نيابة الحكم بالدّيار المصرية ثم ولي قضاء الدّيار المصرية.وصف بأنه كان ورعا، زاهدا، باشر بعفّة ونزاهة وصيانة وحرمة، توفي سنة(٨٧٦هـ/١٤٧٢م).ينظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٩، ص٤٧٩.

(٢) الشاذلي، عبد القادر بن محمد بن أحمد(ت ٩٣٥هـ/١٥٢٨م): بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين، تحقيق عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٨، ص١٥؛ وينظر أيضا: العيدروس: النور السافر، ص٥١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٦٥؛ السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٣٢؛ حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٦.

(٤) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٣٢؛ حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٦.

(٥) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٥.

(٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٤٢.

لذا كان هناك وعي كبير بأهمية العلم وقيمته في عملية التربية؛ يوجِّه الولد نحو حفظ القرآن الكريم، وحفظ المتون الدينية، ثم اصطحبه الى دور العلم ومجالس القضاء ودروس الفقهاء وسماع الحديث في مجالس الحافظ ابن حجر العسقلاني[١].ومما يجدر ذكره، إن الوالد ظل يراقب تعليم ابنه، وكان دائم التوجيه والنصح له، ولما أيقن من نبوغه المبكر لقبه بـ(جلال الدين)[٢]، وقد لا نبالغ إذا قلنا أن هذا اللقب جاء تتويجاً لسنوات طويلة من الرعاية والتعليم الذي أنتج عالماً له شأن في الميدان الذي تخصص فيه.

وعندما توفي والده كفله صديق لأبيه، وهو العلامة كمال الدين بن الهمام[٣] الذي عين السيوطي في وظيفة أبيه السابقة في المدرسة الشيخونية[٤]، وقد رعاه وأخلص في تربيته الى أن توفي سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م)، وكان عمر السيوطي حينئذ أحدى عشرة سنة[٥].

والظاهر أن علامات الفطنة وإمارات الذكاء والنبوغ قد ظهرت عليه بوقت مبكر من حياته فقد حفظ القرآن الكريم، ولم يبلغ بعد ثمانية سنين، وأنشرح صدرهُ به بحفظ متون الفقه والنحو والأصول، ثم قرأ الفرائض والمواريث كما سمع على عدد كبير من شيوخه في الفقه وغيره من المسموعات الأخرى[٦]. وقد رزقه الله نعمة التعدد في العلوم والتبحر في سبعة أساسية إذ قال: «ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع»[٧]، وتأتي العلوم الأخرى المختصة بأصول الفقه والجدل والتصريف بالمرتبة الثانية ثم علم الانشاء والترسل، والفرائض ثم القراءات الخاصة بالقران الكريم والتي لم يأخذها من أستاذ معين ثم يأتي علم الطب[٨].

أما رحلاته فقد ذكر البلاد التي زارها والمدن التي تنقل فيها: "وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام، الحجاز، واليمن، والهند، والمغرب"[٩]، هذا فضلاً عن المناطق التي تنقل فيها داخل مصر، والظاهر أن سفره

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٥.
(٢) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص٣٢.
(٣) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي.ولد سنة(٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، برع في أنواع العلوم، من الفقه والأصول والنحو والمعاني وغيرها.وكان علامة محققا جدليا نظارا، قرره السلطان الأشرف شيخا في مدرسته.وولي مشيخة الشيخونية.وله تصانيف، منها شرح الهداية والتحرير في أصول الفقه.توفي سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م).ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٧٤.
(٤) تقع الشيخونية بالقرب من الإصلاحية عند سويقة باب حطة، واقفها الأمير قطيشا بن علي من رجال حلقة دمشق، جعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون، فسميت بالشيخونية تاريخ وقفها(٧٦١هـ/١٣٦٠م).ينظر: محمد كُرْد عَلي: خطط الشام،ط٣، مكتبة النوري، دمشق،١٩٨٣، ج٦، ص١٤٩.
(٥) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٥.
(٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ص٣٣٦-٣٣٧؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٥.
(٧) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٨.
(٨) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٧.
(٩) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٨.

هذا كان لأجل العلم وتحصيله، وذلك ينطلق من همة السيوطيّ العالية، ورغبته الشديدة في تلقي العلم واكتساب المعرفة.

أما ثقافته ومشايخه، فقد شرع العلاّمة السيوطيّ بالاشتغال بالعلم في مطلع سنة أربع وستين، فلازم أكثر شيوخ عصره، وأخذ عنهم مختلف فنون الثقافة مع حرصه الشديد على المتابعة الشخصية، فقد اهتم بالبحث والتدقيق اهتماما بالغاً.قال: «وشرعت في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة أربع وستين، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذت الفرائض عن العلاّمة فرضّي زمانه الشيخ شهاب الدين التارمساحيّ(١)، وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين.وقد ألفت في هذه السنة، فكان أول شيء ألفتّه شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، فكتب عليه تقريضا، ولازمته في الفقه إلى أن مات، ولازمت ولده وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وأربعين، وحضر تصديري فلما توفي سنة ثمانٍ وسبعين، ولزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي(٢)»(٣).

وقال: «ولزمت شيخنا العلاّمة أستاذ الوجود محي الدين الكافيّجي(٤) أربع عشرة سنة، فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ...وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي(٥) دروسا عديدة في الكشافّ والتوضيح وحاشيته عليه»(٦).وأخذ العلم أيضًا عن شيخ الحنفية الأقصرائي(٧)،

---

(١) شهاب الدين أحمد بن علي بن أبي بكر الشارمساحي الشافعي الفرضي، برع في الفقه وفاق في الفرائض والحساب، توفي بالقاهرة سنة (٨٦٥هـ/١٤٦١م).ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠، ج١، ص١٧٥.

(٢) قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد، ولد سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٦م)، وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم، برع في الفقه والأصول، وسمع الحديث وتصدى للإقراء والإفتاء وتخرج به الأعيان، وولي تدريس الشافعي وقضاء الديار المصرية.توفي سنة (٨٧١هـ/١٤٦٧م).ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٤٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٩، ص٤٠٦.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٤) محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود أستاذ الدنيا في المعقولات.ولد قبل سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٨م)، تقدم في فنون المعقول حتى صار إمام الدنيا فيها، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٥م) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٥٤٩.

(٥) محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري العلامة الورع الزاهد العابد.ولد سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٨م)، وبرع في الفقه والأصول والنحو، وكان شيخه ابن الهمام يقوله عنه: هو محقق الديار المصرية، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير، "ولم ير مثله تورعا" ، وولي التدريس بأماكن، منها درس التفسير بالمنصورية، وآخر ما تولى مشيخة المؤيدية ثم الشيخونية.توفي سنة (٨٨١هـ/١٤٧٧م).ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٧٨.

(٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٨.

(٧) يحيى بن محمد شيخ الحنفية في زمانه.ولد سنة نيف وتسعين وسبعمائة، وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه.مات في أواخر المحرم سنة ثمانين وثمانمائة.ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٧٨.

وجلال الدين المحلي[١]، وقد ذكر تلميذه الداوودي في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعا مرتّبين على حروف المعجم، فبلغت عدّتهم أحدا وخمسين نفسا[٢]، أما مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النّافعة المتقنة المحرّرة المعتمدة المعتبرة، فنافت عدتها على خمسمائة مؤلّف، وشهرتها تغني عن ذكرها، وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقا وغربا وكان آية كبرى في سرعة التأليف حتّى قال تلميذه الداوودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفا وتحريرا، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة[٣].

• رابعاً: وفاته

اتفقت المصادر على أن السيوطي كان قد اعتزل الناس آخر حياته، واعتكف في بيته بروضة المقياس.وكانت وفاته في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة (٩١١هـ/١٥٠٦م) في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد أصاب ذراعه الأيسر، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان له مشهد عظيم، وصلى عليه خلائق بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة، وصلي عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي بدمشق[٤].

وقد ملأ الدنيا علماً وفضلا وشهرة وذكرا! « كان إماما حافظا متقنا جليل القدر حسن التقرير والتحرير لطيف الإشارة، بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف، لطيف الترتيب والترصيف، كان زينة أهل عصره، ونقاوة ذوي دهره»[٥]، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنّ الإسلام والمسلمين خيراً كثيراً[٦].

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد.ولد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، واشتغل وبرع في الفنون؛ فقها وكلاما وأصولا ونحوا ومنطقا وغيرها.وكان علامة آية في الذكاء والفهم؛ كان بعض أهل عصره يقول فيه: إن ذهنه يثقب الماس.توفي سنة (٨٦٤هـ/١٤٦٠م). ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٤٤.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٦.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٦.

(٤) زين الدين المَلَطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء(ت ٩٢٠هـ/١٥١٥م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢ ، ج١، ص٦٨؛ نجم الدين الغزي، محمد بن محمد(ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧،ج١، ص٢٣١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١٠، ص٧٨؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج١، ص٣٢٨.

(٥) العيدروس: النور السافر، ص١٠٧.

(٦) محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩، ص١٤٥.

المبحث الثاني

كتاب حسن المحاضرة ومفهوم المكاتبات الرسمية

• أولاً: كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

يعد كتاب «حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة»، من أجل كتب العلماء المختصين، وضعه المؤرخ السيوطي الذي قال في مقدمته: «هذا كتاب سميته حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»(١)، وقد أوضح القصد من تأليفه كتابه هذا، إذ يقول: «وأوردت فيه فوائد سنية، وغرائب مستعذبة مرضية، تصلح لمسامرة الجليس، وتكون للوحدة نعم الأنيس»(٢)، فهو مؤلف ضخم يقع في مجلدين، يعد من أمات الكتب، وأعذبها مورداً، وأصفاها منهلاً وأسدها منهجاً، وأوضحها فصولاً وأبواباً، وأوفاها استيعاباً وشمولاً، ضمنه مؤلفه بعد ذكر مصر في القرآن والحديث، تأريخها الغابر وفتحها في الإسلام وخططها، وجوامعها ومدارسها والنيل وأحواله.

وذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر من غلاء ووباء وزلازل وآيات وغير ذلك، كذلك تتبعه لغرائب التاريخ وظواهر الطبيعة، ليس في مصر فحسب وانما في البلاد الإسلامية عامة، إذ يبدو أن سعة اطلاعه على المرويات، وأمانة النقل عنه، ورغبته في أن تكون الأخبار كلها بين يدي قارئيه، جميع ذلك كان سبباً في حشد هذه الغرائب في كتابه(٣). وختم بمختارات من الشعر حول أشجار وفواكه مصر.ويجمع تراجم رجال مصر على الاختصار بشكل شامل.

• ثانياً: مفهوم المكاتبات الرسمية

اعتنى المسلمون بالكتابة منذ بداية دعوتهم، وأعطوها جل اهتمامهم(٤)، حتى أصبحت «الحرفة التي

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٣.

(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص٨٩، ج٢، ص٤٦،٢٧٤.

(٤) نشأت الكتابة الفنية في العصر الإسلامي، وأكد على ذلك القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): بقوله : «أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة، رضوان الله عليهم ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه: فبعث عمرو بن أميّة الضّمري إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس، ودحية الكلبيّ إلى هرقل ملك الروم، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر، وسليط بن عمرو إلى هوذة بن عليّ ملك اليمامة، والعلاء بن الحضرميّ إلى المنذر

لا يليق بطالب العلم سواها، ولا يجوز له العدول إلى ما عداها»[١].وصارت ركناً رئيساً من أركان أنظمة الدولة، وعدوا كتابة الرسائل والإنشاء أفضل مراتب الكتابة[٢].

وقد تعرض المؤرخون قديماً لتحديد مفهوم المكاتبة من الناحية اللغوية، فهي تعني التكاتب، يقال: كاتب صديقه، وتكاتبا[٣].إذا كتب بعضهما إلى بعض[٤].وكتب كتباً، وكتبة، وكتابا والاسم الكتابة.وتطلق الكتبة والكتاب على المكتوب، ويطلق الكتاب على المنزل، وعلى ما يكتبه الشخص ويرسله[٥].

ومنه: كتب الكتاب: إذا جمع الحروف، وضم بعضها إلى بعض[٦].

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾[٧]، يعني القرآن سمي كتاباً لما جمع فيه من القصص، والأمر والنهي، والأمثال، والشرائع والمواعظ، وكل شيء جمعت بعضه إلى بعض فقد كتبته، ويقال للخرز الكتب لتداني بعضها من بعض، واحدتها كتبة[٨].

أما اصطلاحاً: فهي الكتب الصادرة عن الديوان الملكي أو الأميري أو ديوان الرئاسة، أو الصادرة عن جهة مسؤولة في تصريف أمور الدولة، ويقال لها أحيانا الرسائل الرسمية أو السلطانية أو الملوكية[٩].

* * *

بن ساوى ملك البحرين إلى غير ذلك من المكاتبات».ينظر: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ج١، ص١٢٥.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ، ج١٤، ص١٢٦.

(٢) ابن خلف، أبو الحسن علي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٦م): مواد البيان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣، ص٣٠.

(٣) الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥، ج٤، ص١٠٦.

(٤) نشوان الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت٥٧٣هـ/١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩، ج٩، ص٥٧٦٢.

(٥) الفيومي، أحمد بن محمد(ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٥٢٤.

(٦) بطال الركبي، محمد بن أحمد(ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م): النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، تحقيق مصطفى عبد الحفيظ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩١، ج٢، ص١١١.

(٧) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢.

(٨) الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد (ت٤٠١هـ/١٠١١م): الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٩٩٩، ج٥، ص١٦١٤.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص١٥٧؛ ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٩، ص١٥٢.

المبحث الثالث

المكاتبات الرسمية للعهد الراشدي (٢٠-٢٣هـ/٦٤١-٦٤٤م) في كتاب: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

- **أولا: المكاتبات السياسية والعسكرية**

لم يكن فتح مصر عشوائيًا، وإنما كان ذلك بخطة محكمة ودراسة مسبقة، نابعا من رغبة المسلمين في الاضطلاع بأعباء الدعوة الإسلامية العالمية، وضرورة أداء أمانة بتبليغها إلى العالمين لإبراء الذمة أمام الله، لقد تطلع المسلمون إلى فتح مصر بعد ورودها في كثير من المواضع في القرآن الكريم عند التعرض لقصص الأنبياء الأولين، وتبشير النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بفتحها وتنويهه بجندها، وتوصيته بأهلها خيرًا، ومن أجل ذلك كله حرص المسلمون على فتحها،

ويروي السيوطي أن عمرو بن العاص أشار على عمر بن الخطاب بفتحها، وقال: «إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونًا لهم، وهي أكثر الأرض أموالًا، وأعجزها عن القتال والحرب»[(١)]، اجتمع عمرو بن العاص بعمر بن الخطاب في الجابية حين جاء إلى بلاد الشام بعد طاعون عمواس، وعرض عليه فتح مصر وطلب السماح له بالمسير إليها، وهنا تظهر لأول مرة في المصادر العربية فكرة فتح مصر، وكأنها فكرة طارئة عنت لعمرو بن العاص الذي كان يسعى للحصول على ميدان جديد يظهر فيه نشاطه، وحسنها للخليفة عمر[(٢)].

وكانت المعركة الحاسمة بعد معارك عدة عند حصن بابليون، الذي كان في قلب مصر، وقد خندق الروم خندقًا حول الحصن، فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه المدد، فكتب إليه الخليفة ما نصه:» إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد.وأعلم أن معك اثني عشر ألفا، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة»[(٣)].وكان بالإسكندرية أسقف للقبط، يقال له أبو بنيامين ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص، كتب إلى القبط يعلمهم أنه «لا يكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع،

---
(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٦.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٦
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٨.

ويأمرهم بتلقي عمرو»[١].

قال السيوطي: فلما حاصر المسلمون حصن بابليون، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤساؤهم، وعليهم المقوقس، فقاتلوهم بها شهرا، فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي[٢].

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص كتابا يطلب منه عقد الصلح، جاء فيه: «إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا؛ وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم، وجهزوا إليكم، ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى قد أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم؛ فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام»[٣].

فرد عليهم عمرو برسالة خيره فيها بإحدى الثلاث، أما الإسلام، أو الجزية، أو القتال، على نحو ما تضمنته الرسالة: «أن ليس بيني وبينك إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»[٤].

فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: «إني لم أزل حريصًا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إليّ بها، فأبى ذلك عليّ من حضرني من الروم والقبط، فلم يكن لي أن افْتَاتَ عليهم في أموالهم وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم، ورجعوا إلى قولي، فأعطني أمانًا أجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي وأنت في نفر من أصحابك، فإن استقام الأمر بيننا تمّ ذلك لنا جميعًا، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه»[٥].

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك فقالوا: «لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا، وتصير الأرض كلها لنا فيئًا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه».قال عمرو: «قد علمتم ما عهد إليّ أمير المؤمنين في عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إليّ فيها أجبتهم إليها

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٧.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٩.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٠٩.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٠.
(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٥.

وقبلت منهم، مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم»(١).

فجنح المسلمون إلى الصلح كما عاهدهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتمّ عقد الصلح بين المسلمين والرومان قال السيوطي: «واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس، شريفهم ووضيعهم، ومن بلغ الحلم منهم؛ ليس على الشيخ الفاني، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم، ولا على النساء شيء، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام، وأن لهم أرضهم وأموالهم، لا يعرض لهم في شيء منها، فشرط هذا كله على القبط خاصة، وأحصوا عدد القبط يؤمئذ خاصة من بلغ منهم الجزية، وفرض عليهم الديناران، ورفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس؛ فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة.وقيل: بلغت غلتهم ثمانية آلاف ألف»(٢).

وشرط المقوقس للروم أن يتخيروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على هذا لازما له، مفترضا عليه ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، فكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بذلك، فجاءه من ملك الروم جوابه على ذلك يقبح رأيه وعجزه ويرد عليه ما فعل، ويقول:»إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى؛ فإن كان القبط كرهوا القتال، وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا، فإن عندك بمصر من الروم وبالإسكندرية، ومن معك أكثر من مائة ألف، معهم العدة والقوة.والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم، ورضيت أن تكون أنت ومن معك في حال القبط أذلاء، ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت، أو تظهر عليهم؛ فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم، وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة، فناهضهم القتال، ولا يكون لك رأي غير ذلك»(٣).

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم: «والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة منا؛ وذلك أنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة...»(٤).ثم أقبل المقوقس على عمرو بن العاص وقال له: إن الملك قد كره ما فعلتُ وعَجّزني، وكتب إليّ وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني، وقد تمّ صلح القبط بينك وبينهم

---

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٥.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٦.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٧.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٧.

ولم يأتِ من قِبَلِهم نقض، وأنا مُتمّ لك على نفسي، والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم، وأما الروم فأنا منهم براء.[١]

وبعد سقوط حصن بابليون في أيدي المسلمين أقام به المسلمون، ثم كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية، وكانت الاسكندرية عند استيلاء العرب على مصر قصبة الديار المصرية، وثانية حواضر الإمبراطورية الرومانية الشرقية.وقد أيقن إمبراطور الروم أن سقوط هذه المدينة في أيدي العرب يؤدي حتما إلى زوال سلطانه من مصر زوالا لا رجوع بعده، فبعث إليها بالجيوش الجرارة، واستجاشت الروم، وأغلقوا أبواب المدينة وتحصنوا فيها[٢].

فسار عمرو بجيشه إلى الإسكندرية بعد أخذ موافقة الخليفة في ذلك، وخرج معه رؤساء القبط وقد اصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم، وقد أقام عمرو بن العاص محاصرا الإسكندرية أشهرا؛ وكان عمر بن الخطاب في المدينة ينتظر أنباء فتح مصر، وهو أشد ما يكون استعجالاً لنبأ سقوط الإسكندرية في أيدي المسلمين، ولكن هذا النبأ أبطأ عنه أشهرًا، فذهب يبحث عن السبب، وهو لم يقصر عن إمداد عمرو بما يحتاج إليه من المساندة التي تكفل له النصر، وخشي أن تكون خيرات مصر قد غَرّت المسلمين فتخاذلوا؛ فقال لأصحابه: «ما أبطَئُوا بفتحها إلا لما أحدثوا»[٣]، أي لما أحدثوا من ذنوب.

وكتب إلى عمرو بن العاص يعظه ويستعجله وينبهه على أن النصر لن يكون حليف المسلمين إلا لو أخلصوا النية، وطلب منه أن يخطب في الناس ويحضهم على قتال عدوهم ويرغبهم في الصبر والنية، وأن يدعوا المسلمين الله ويسألوه النصر: «أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر؛ إنكم تقاتلونهم منذ سنتين؛ وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكون غيرهم ما غيرهم؛ فإذا أتاك كتابي، فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة فيها، ووقت الإجابة، وليعج الناس إلى الله، ويسألوه النصر على عدوهم»[٤].

---

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٨.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٩.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٢٠.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١٢٠.

شكل كتاب عمر عامل دفعٍ للمسلمين فعندما أتى عمرا الكتاب، جمع الناس، وقرأ عليهم كتاب عمر، ثم دعا أولئك النفر، فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا، ويصلوا ركعتين، ثم رغبوا إلى الله تعالى، ويسألوه النصر على عدوهم، وولى عمرو عبادة بن الصامت قتال الروم ففتح الله عليهم وهزموا الروم برا وبحرا(١).وبذلك فتح الله الإسكندرية على المسلمين يوم الجمعة مستهل المحرم سنة (٢٠هـ/ ٦٤٢م)(٢).وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:» أما بعد، فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها، غير أني أصبت فيها أربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي وأربعمائة ملهى للملوك»(٣).

وذكر السيوطي أن عمرو بن العاص قطع من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الناس خاصة؛ الربع يقيمون ستة أشهر والربع في السواحل، والنصف الثاني مقيمون معه، وكان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية، فكانت الولاة لا تغفلها، وتكشف رابطتها، ولا تأمن الروم عليها(٤).

ثم أن عمرو بن العاص أراد الاستقرار فيها، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك؛ فسأل عمر الرسول: هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا جرى النيل. فكتب إِليه عمر بن الخطاب: ألا تجعلوا بيني وبينكم ماءً حتى أقدم إِليكم، فتحوَّل من الإِسكندرية إِلى الفسطاط(٥).

وأشار السيوطي الى بناء المسجد الجامع في مدينة الفسطاط من قبل عمرو بن العاص وبأمر الخليفة عمر بن الخطاب سنة(٢١هـ/٦٤١م)، وبعد أن تم بناؤه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا: «إنا قد خَططْنا لك داراً عند المسجد الجامع» .فكتب إليه عمر: «إنَّى لرجل من الحجاز تكون له دار بمصر، وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين».(٦).

وكان ما حول المسجد حدائق وأعنابا، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم، ووضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة؛ وإن عمرا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوها واتخذوا فيه منبرا، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أما بعد؛ فإنه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٢٠.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١١٩.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٢٢.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ١٦٣.
(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٠.
(٦) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٤.

المسلمين، أو ما حسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك! فعزمت عليك لما كسرته»[١].كما أن الصحابي خارجة بن حذافة، قام ببناء أول غرفة بمصر، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عمرو بن العاص: سلام عليك، أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة؛ وأراد أن يطلع على عورات جيرانه؛ فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها إن شاء الله.والسلام»[٢].

وقال السيوطي لما اختطت القبائل استحبت همدان وما والاها الجيزة، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين.وما فتح الله عليهم، وما فعلوا في خططهم؛ وما استحبت همدان وما والاها من النزول بالجيزة.فكتب إليه عمر: «يحمد الله على ما كان من ذلك، ويقول له: كيف رضيت أن تفرق أصحابك، ولم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر، لا تدري ما يفجؤهم، فلعلك على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره.فاجمعهم إليك فإن أبوا عليك، وأعجبهم موضعهم، فابن عليه من فيء المسلمين حصنا»[٣].فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين[٤].

وذكر السيوطي: أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو عن ذلك وقال: أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: «سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء، ولا ينتفع بها.فسأله فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب؛ إن فيها غراس الجنة.فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين، ولا تبعه بشيء.فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر، يقال له عامر، فقيل: عمرت»[٥].

وروى لنا السيوطي رواية تبين أن الإسلام شرع في معاملة غير المسلمين صورا عظيمة تبين عظمة هذا الدين وشموله فذكر قصة الرجل ال قبطي الذي جاء مع ابنه إلى المدينة المنورة قادماً من مصر يشكو لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ابن عمرو بن العاص وطلب هذا الرجل من الخليفة عمر أن ينصف ولده الذي ضربه ابن الوالي عمرو بن العاص، وقال له بالحرف: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين، فكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص كلمة مختصرة مفادها إذا وصلك خطابي فاحضر أنت وابنك إلي! جاء عمرو بن العاص ومعه ابنه، وعقد سيدنا عمر محكمة للطرفين وتبين منها اعتداء ابن عمرو

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٢.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٥.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٦.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٦.
(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٧.

بن العاص على الغلام القبطي، فأعطى سيدنا عمر عصاه للغلام القبطي وقال له اضرب ابن الأكرمين، فلما ضربه قال له عمر أدرها على صلعة عمرو، فإنما ضربك بسلطان أبيه، فقال القبطي إنما ضربت من ضربني، فالتفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً،قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني[١].

• ثانياً: المكاتبات في الجانب الاقتصادي

ولما تَمَّ فتح مصر اهتم عمرو كما يهتم كل فاتح بما تنتجه البلاد من الوجهة المالية، وكانت السياسة التي اتبعها عمرو في تحصيل الضرائب، في جانب المصلحة المصرية فلما أشار عليه زعماء الجند بقسمة الأرض والمال أبى ذلك عليهم، وراجع الخليفة عمر بن الخطاب في ذلك فأقره على رأيه، وأشار السيوطي الى ذلك بقوله: «كان بالإسكندرية، فيما أحصي من الحمامات اثنا عشر ديماسا، أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس، كل مجلس منها يسع جماعة نفر، وكان عدة من بالإسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال، فلحق بأرض الروم أهل القوة، وركبوا السفن، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار، فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل، وبقي من بقي من الأسارى ممن بلغ الخراج، فأحصي يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان، فاختلف الناس على عمرو في قسمتهم، وكان أكثر الناس يريدون قسمتها، فقال عمرو: لا أقدر أقسمها، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها، فكتب إليه عمر: لا تقسمها، وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين، وقوة على جهاد عدوهم، فأقرها عمرو»[٢].

وقال السيوطي: «كان عمرو بن العاص يبعث إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما يحتاج إليه إذ كانت فريضة مصر لحفر خلجها وإقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها (مائة ألف وعشرين ألفا)، معهم الطور والمساحي والأداة؛ يتعقبون ذلك، لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا»[٣].ثم كتب كتب عمر بن الخطاب أن يختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم، ويركبوا على الأكف عرضا، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي، ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان، ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم[٤].

---

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص٥٧٨.
(٢) حسن المحاضرة،ج١، ص١٢٣.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٥.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٥.

وأشار السيوطي الى نظام الضرائب الجديد الذي كان يوجب على كل ذمي عامل دينارين في السنة، ولا ضريبة على النساء ولا على الأطفال ولا على الشيوخ العجزة «ولا يزاد أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين، إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع، إلا أهل الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم»؛ لأن سكانها من الروم، ومن والاهم لم يدخلوا في اتفاق، وعادوا إلى القتال بأمر الدولة الرومانية مرتين[1].

وسار عمرو بن العاص في الخراج مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل في النقصان والزيادة، **فقد اقتصد في تحصيل الضرائب حتى ارتاب الخليفة في الأمر، وحاسبه عليه حسابًا عسيرًا كعادته في محاسبة العمال؛ إبراءً لذمته من العبث ببيت المال**، مما أضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد في دفعه.ذلك أن عمرا حين جبى خراج مصر في السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً في السنة التالية، وذلك لما بلغ الخليفة من أن الخراج وصل في عهد المقوقس إلى عشرين مليوناً وأكثر، فلا غرابة إذا عجب عمر من أن البلاد لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه قبل الإسلام.على أن الخليفة عُمر إنما أراد بتشدده وتمسكه أن يحلب البلاد حلباً ويقطع درها بخلاف ما كان يتوخاه عمرو بن العاص من مراعاة حال البلاد من شدة ورخاء.**ولقد أثار نقص الجباية غضب الخليفة، فتبودلت بينه وبين عمرو المكاتبات التي أنحى فيها باللائمة عليه**، جاء في مكاتبة الخليفة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص.سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فإني فكرت في أمرك والذين أنت عليه، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة، قد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر، وأنها قد عالجتها الفراعنة، وعملوا فيها عملا محكما، مع شدة عتوهم وكفرهم، فعجبت من ذلك؛ وأعجب مما أعجبت، أنها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب؛ ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إلي ذلك؛ فإذا أنت تأتيني بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذي في نفسي؛ ولست قابلا منك دون الذي كنت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك.ولست أدري ما الذي أنفرك من كتابي وقبضك! فلئن كنت مجزئا كافيا صحيحا، إن البراءة لنافعة، ولئن كنت مضيعا نطفا، إن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك.وقد تركت أن أبتغي ذلك منك في العام الماضي في رجاء أن تفيق فترفع إلي ذلك؛ وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك عمال السوء، وما توالسعليه وتلفف؛ اتخذوك كهفا.وعندي بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٦.

عنه؛ فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه؛ فإن النهز يخرج الدر، والحق أبلج، ودعني وما عنه تتلجلج، فإنه برح الخفاء.والسلام»(١).

فكتب إليه عمرو بن العاص كتابا، فيه بيان عن سياسة عمرو، وبيان أوضح من ذلك عن خلقه وقوة شكيمته مع خليفة لم يجترئ عليه أحد من عماله مثل اجترائه، فلما كتب إليه الخليفة «يعجب من أن الأرض لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه»، ويعرض له ببعض الشبهات، أجابه مغضبًا فقال: «إننا عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمن بعده، فكنا بحمد الله مؤدين لأمانتنا»، والكتاب الآتي يوضح ذلك: «بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص؛ سلام عليك، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج، والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبل، وإعجابه من خراجها على أيديهم، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام.ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر، والأرض أعمر؛ لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام.وذكرت بأن النهز يخرج الدر، فحلبتها حلبا قطع ذلك درها.وأكثرت في كتابك، وأنبت، وعرضت وثربت؛ وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر؛ فجئت لعمري بالمفظعات المقذعات؛ ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق.وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده؛ فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا، نرى غير ذلك قبيحا، والعمل به سيئا، فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا.معاذ الله من تلك الطعم، ومن شر الشيم، والاجتراء على كل مأثم؛ فاقبض عملك؛ فإن الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا «ولم» تكرم فيه أخا»(٢).

الى أن قال وهو أشد ما ووجه به خليفة وما ووجه به ابن الخطاب خاصة: «والله يابن الخطاب؛ لأنا حين يراد ذلك مني أشد لنفسي غضبا، ولها إنزاها وإكراما، وما علمت من عمل أرى علي فيه متعلقا؛ ولكني حفظت ما لم تحفظ؛ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت -يغفر الله لك ولنا- وسكت عن أشياء كنت بها عالما؛ وكان اللسان بها مني ذلولا؛ ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل.والسلام»(٣).

ولم يتوانى الخليفة عن إرسال الكتب الى عمرو بن العاص يستحثه على الاستعجال بإرسال الخراج، لضرورة الحاجة إليه نتيجة الجدب والقحط فكتب إليه: «من عمر بن الخطاب إلى عمر بن العاص؛ سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد عجبت من كثرة كتبي إليك في إبطائك بالخراج وكتابك إلي ببنيات الطرق؛ وقد علمت أني لست أرضى منك إلا بالحق البين؛ ولم أقدمك إلى

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٨.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٩.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٩.

مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك؛ ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج، وحسن سياستك؛ فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج، فإنما هو فيء المسلمين، وعندي من قد تعلم قوم محصورون، والسلام»[١].

فكتب إليه عمرو بن العاص مبينا له حسن سياسته وعدم إحادته عن الحق مقدرا حال الرعية: «بسم الله الرحمن الرحيم، لعمر بن الخطاب من عمر بن العاص، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج، ويزعم أني أعند عن الحق، وأنكب عن الطريق؛ وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم؛ ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلتهم؛ فنظرت للمسلمين؛ فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم، فنصير إلى ما لا غنى بهم عنه.والسلام»[٢].

فلما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج، كتب إليه: «أن ابعث إلي رجلا من أهل مصر؛ فبعث إليه رجلا قديما من القبط، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام، فقال: يا أمير المؤمنين، كان لا يؤخذ منها شيء إلا بعد عمارتها، وعاملك لا ينظر إلى العمارة، وإنما يأخذ ما ظهر له؛ كأنه لا يريدها إلا لعام واحد»[٣].فعرف عمر ما قال، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به.

كما كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يسأل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخرابها؟ فسأله عمرو فقال له المقوقس تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة أن يستخرج خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويرفع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم، وتحفر في كل سنة خلجها وتسد ترعها وجسورها، ولا يقبل محل أهلها يريد البغي فإذا فعل هذا فيها عمرت وإن عمل فيها بخلافها خربت»[٤].

ونوه السيوطي أيضا الى أنشاء خليج مصر الذي عرف بخليج أمير المؤمنين،لأن عمرو بن العاص، جدّد حفره بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعن سبب حفر هذا الخليج، بيَّن السيوطي أنه وقع قحط شديد في بلاد الحجاز، عندها أرسل الخليفةُعمر بن الخطاب رسالةً الى عمرو بن العاص، يحثه على إرسال الطعام والمؤن، فكتب : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص: سلام عليك؛ أما بعد؛ فلعمري يا عمرو ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك، أن أهلك أنا ومن معي؛ فياغوثاه، ثم ياغوثاه! يردد قوله»[٥].

---

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٩.
(٢) حسن المحاضرة، ج١، ص١٤٩.
(٣) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٠.
(٤) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٠.
(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٦.

فكتب إليه عمرو بن العاص: «لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من عبد الله عمرو بن العاص؛ أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك! قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي.والسلام عليك ورحمة الله»(١).ولما انتهى أمر هذه الشدة بإرسال المؤن والطعام الوفير، استدعى الخليفة عمرو يأمره أن يحفر خليجًا، أو قناة لتربط مصر بأرض الحجاز ،لتسهيل عملية النقل والتجارة بين مصر والجزيرة العربية(٢)، قائلا: «يا عمرو؛ إن الله قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقى في روعي -لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين، والتوسعة عليهم أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة؛ فإن حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ معه ما نريد؛ فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم»(٣)، فتم حفر هذا الخليج سنة(٢٣ هـ/٦٤٤م)(٤).

وقال السيوطي عنه: «وليس بمصر خليج إسلامي غيره، وكان حجاج البحر يركبون فيه من ساحل تنيس يسيرون فيه، ثم ينتقلون بالقلزم إلى المراكب الكبار»(٥).

وذكر السيوطي: أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهى الجند عن زراعة الأرض في مصر، إذ أنه أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية؛ أن عطاءهم قائم، وأن رزق عيالهم سائل، فلا يزرعون ولا يزارعون(٦).

ولعل هذا القرار جاء تطبيقا لسياسة الخلافة في جعل العرب أمة مقاتلة تحت السلاح دائماً، كما أن الخليفة عمر إدراك أهمية استنفار الجند في الإبقاء على الجهوزية العسكرية للمسلمين، إذ ان مزاولة العرب المسلمين للزراعة يضعف اندفاعهم بشأن مواصلة الفتوحات، ويصرفهم عن الاهتمام بشؤون الدعوة الإسلامية وترسيخها آنذاك(٧)، ولعل حادثة شريك بن سمي الغصيفي خير دليل إذ أنه أتى عمرو بن العاص، فقال: إنكم لا تعطونا ما يحسبنا، أفتأذن لي في الزرع؟ قال: ما أقدر على ذلك، فزرع شريك من غير إذن عمرو، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب، يخبره أن شريكا حرث بأرض مصر فكتب إليه عمر: أن ابعث إلي به «فبعث به إليه، فقال له عمر: لأجعلنك نكالا لمن خلفك، قال: أو تقبل مني ما قبل الله من العباد؟ قال: وتفعل؟ قال: نعم، فكتب إلى عمرو بن العاص: إن شريك بن

---

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٦.

(٢) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام ، القاهرة ١٤٢٨ هـ، ص٢٠٨.

(٣) حسن المحاضرة،ج١، ص١٥٧.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٦.

(٥) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٨.

(٦) حسن المحاضرة،ج١، ص١٥٥.

(٧) الصيغاني، الحسن بن محمد بن الحسن(ت٦٥٠ه/١٢٥٣م)، العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد، بغداد،١٩٧٩، ص٢٠٨.

سمي جاءني تائبا.فقبلت منه»[١].

كما أبطل المسلمون إحدى العادات السيئة التي كانت موجودة قبل الفتح وهي عادة ما تسمى بعروس النيل وهي إلقاء فتاة بكر في النيل في شهر بؤونة حتى يجري ويفيض، ويُروى في ذلك أن عَمرًا كتب إلى الخليفة عُمر، فرد عليه عُمر وبعث له ببطاقة مكتوب فيها: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك، فلا تجر، وإن كان الواحد القهار يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» ، فألقى عمرو البطاقة في النيل، فجرى النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة[٢].

* * *

(١) حسن المحاضرة، ج١، ص١٥٥.

(٢) حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٥٣.

الخاتمة

تناول البحث المكاتبات الرسمية في العهد الراشدي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٢٠-٢٣هـــ/٦٤١-٦٤٤م)، في كتاب «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، لمؤلفه السيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وتمخض عن البحث مجموعة من النتائج أبرزها:

١- أثبت البحث اعتناء المسلمون بالكتابة منذ بداية دعوتهم، وأعطوها جل اهتمامهم، وقد تعرض المؤرخون قديماً لتحديد مفهوم المكاتبة من الناحية اللغوية، فهي تعني التكاتب، يقال: كاتب صديقه، وتكاتبا.إذا كتب بعضهما إلى بعض.وكتب كتباً، وكتبة، وكتابا والاسم الكتابة.أما اصطلاحاً: فهي الكتب الصادرة عن الديوان الملكي أو الأميري أو ديوان الرئاسة، أو الصادرة عن جهة مسؤولة في تصريف أمور الدولة، ويقال لها أحيانا الرسائل الرسمية أو السلطانية أو الملوكية.

٢- من خلال المكاتبات أبرز البحث أهمية ومكانة مصر وحرص المسلمين على فتحها، نابعا ذلك من رغبة المسلمين في الاضطلاع بأعباء الدعوة الإسلامية العالمية، وضرورة أداء أمانة بتبليغها إلى العالمين لإبراء الذمة أمام الله، وكذلك استثمار خيراتها فقد أدركوا غنى مصر وثراءها، وعلموا أن ضمها إلى بلدان الإسلام يضمن انتعاشًا في اقتصاد المسلمين، ويوفر لهم الأموال التي تساعد على مزيد من الفتوح، ودليل ذلك قول عمرو بن العاص: «إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونًا لهم، وهي أكثر الأرض أموالًا، وأعجزها عن القتال والحرب».

٣- كشف البحث عن السياسة الحكيمة والرشيدة للقائد وجنده، والمتمثل بشخص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشخص الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه، فالخليفة كان يخشى على الجُيوش الإسلاميَّة من الدخول لِأفريقيا ووصفها بأنَّها مُفرّقة، لكنَّهُ ما لبث أن وافق، وأرسل لِعمرو بن العاص الإمدادات، فتوجَّه الأخير بجيشه صوب مصر، فكان قائدا محنكا، وسياسيا قديرا، وواليا عادلاً.فتجلت سجاياه ومواهبه في ميدان فتوحه الواسعة للبلاد التي غزاها، وفي كفاءته لإدارة شؤونها، والعمل على ترقيتها وترقية أهلها، وكان السبب في نشر الإسلام في أرجائها تدريجا، فنبه ذكره ، وسما قدره، وعظم شأنه، وكتب في سمائها أكبر مثل يسطره له التاريخ إلى أبد الدهر.

*　　*　　*

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

• **أولا: المصادر الأولية**

*** بطال الركبي، محمد بن أحمد(ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م):**

١-النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، تحقيق مصطفى عبد الحفيظ، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩١.

*** حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م):**

٢- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ٢٠١٠.

*** ابن خلف، أبو الحسن علي(ت٤٣٧هـ/١٠٤٦م):**

٣-مواد البيان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٣.

*** الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م):**

٤-تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥.

*** زين الدين المَلَطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء(ت ٩٢٠هـ/١٥١٥م):**

٥-نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢.

*** السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م):**

٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، د.ت.

*** السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد(٩١١هـ/١٥٠٥م):**

٧-حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،مصر، ١٩٦٧.

٨- التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت،

٩- لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

*** الشاذلي، عبد القادر بن محمد بن أحمد(ت ٩٣٥هـ/١٥٢٨م):**

١٠- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين، تحقيق عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٨.

*** الصيغاني، الحسن بن محمد بن الحسن(ت٦٥٠هـ/١٢٥٣م):**

١١-العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد، بغداد،١٩٧٩.

*** العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م):**

١٢- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥.

*** ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):**

١٣-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦.

*** الفيومي، أحمد بن محمد(ت٧٧٠هـ/١٣٦٩م):**

١٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

*** القلقشندي، أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):**

١٥- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.

*** نجم الدين الغزي، محمد بن محمد(ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م):**

١٦- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

*** نشوان الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت٥٧٣هـ/١١٧٧م):**

١٧-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩.

*** الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد(ت٤٠١هـ/١٠١١م):**

١٨- الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٩٩٩.

*** ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

١٩- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

• ثانياً: المراجع الثانوية

*** أحمد سوسة:**

٢٠- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي، بغداد.

*** الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م):**

٢١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

*** عبد الشافي محمد عبد اللطيف:**

٢٢- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام ، القاهرة،١٤٢٨هـ.

*** محمد عبد الله عنان:**

٢٣- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩.

*** محمد كُرْد عَلي:**

٢٤- خطط الشام،ط٣، مكتبة النوري، دمشق،١٩٨٣.

*** ناظم رشيد:**

٢٥- الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٩.

* * *